المرأة فوق برج بابل والزواج المقدس من خلال النصوص المسمارية

أ.د. عبد الآله فاضل محمد نوري
كلية الآداب - جامعة بغداد

أن ذكر المرأة فوق برج بابل قد جاءنا لأول مرة في إحدى كتابات المؤرخ الشهير هيرودوت إذا وردا نص يقول فيه (١٨١) ((وفي منتهى الأبراج هيكل داخله أريكة في غاية الزينة وبقربها مائدة ذهبية وليس هناك من تمثال ولا يسمح لأحد أن يستمر فيه ليلا إلا إذا كان امرأة من أهل البلاد قد اصطفاها الإله على حد ما يقول الكلدان كهانه هذا الإله (١٨٢) ومن قول هؤلاء الكهنة أن الإله يأتي بنفسه إلى الهيكل ويضطجع على الأريكة المذكورة والذي أراه أن الخبر فيه خيال واسع وتصور بعيد عن التصديق وإذا صدقنا قول المصريين فإن مثل هذه العقيدة كانت في مدينة طيبة الا وفي هيكل جوبتير طيبي كانت ترقد امرأة وكلتا الملتين تعتقدان أن المرأة المصطفاة لم تضاجع رجلا قط ومثل ذلك في بتريس في بلاد ليكيا فأن أهلها يعتقدون بأن الإله حيثما يشرف المدينة يقفلون أبواب الهيكل ليلا على الكاهنة الكبيرة إذ لا يتنبأ في ذلك المقام كل وقت))[1] ومن خلال النص أن هيرودوت يورد انه هناك بعض الإجراءات الطقوسية تتم فوق الزقورة (أي برج بابل) والتي تكون فيه المرأة عنصرا مؤثرا ويمكن تحديد الخصائص التي يحدثنا عنها بما يأتي ..

١ - الامرأة الوحيدة التي تقضي ليلها في المعبد العالي .

٢ - أنها امرأة من أهل البلاد .

٣ - اصطفاها الإله من بين الجميع .

٤ - إن الإله يأتي بنفسه إلى المعبد العالي ويضطجع على السرير .

٥ - إن هذه المرأة كما في معبد الإله زريس (جوبيتر) في طيبة وليس لـــها أي علاقة مع الناس العاديين كما هي زوجة الإله امون في طيبة المصرية .

٦ - وتشبه الرواية في بلاد ليكيا عندما يشرف الإله (ابولو) المدينـــة يقفلـون أبواب المعبد على الكاهنة الكبيرة .

تؤكد المصادر التاريخية وهي تذكر هذا النص لـــهيرودوت أنـــه الـــزواج المقدس وبالرغم من الفارق الزمني يبقى الوصف لعائدية هذا النص .

كما أن بعض الباحثين الآخرين أمثال رفان[٢] وفرنكفورت[٣] مع التحفظات وكذلك البرنور Saggs[٤] يرون في تحليل النص أن قضاء امرأة ليلا في المعبـــد العالي لبرج بابل هو شكل من اشكال الزواج المقدس ويستنتج بحاثه آخرون أمثال (Baumgarther) [٥] و (Hrouda) أن هذه العلاقة يمكنه أرجاعها إلـــى زمـــن سلالة أور الثالثة[٦] كما يفترض آخرون أن هذا الزواج المقدس على البرج هـــو مشاركة تمثالي الإلهين مردوخ وسربانيتو (Sarpanitu) أي الـــزواج بينـــهما[٧] وقبل مناقشة هذه الآراء والنظريات يجب تبيان المقصود في المعبد العـــالي ولأي نوع من النساء .

لقد أجرى البرفسور رينجر Renger عام ١٩٦٨ دراسة حول الكاهنـــات في العهد البابلي القديم[٨] ويبين في دراسته أصنافا كثـــيرة مـــن الكاهنـــات ولكن دراستي هذه تخص أصنافا محدودة منهن الـــ En والـــ Entu والـــ Ugbabtu والناديتو (naditu) وعلى وفق المحددات الآتية :

١ - هويتهـــا .

٢ - يختارها الإله .

٣ - تحريم العلاقة الجنسية .

وإن هذه المعايير ترينا أنها تنطبق بالأتفاق الكامل على أصناف كاهنـــات الـــ En والـــ Entu والـــ Ugbabtu أي المحددات التي بينتها أعلاه ، أما كاهنة

الناديتو (naditu) فأنها تتفق في محدد القياس رقم (١) ورقم (٣) وسنأتي بشيء من التفصيل العام لهذه الأصناف من الكاهنات كاهنة الـ Eu .

أ - أن أكثر أنواع هذه الكائنات من ذرية السلالة الملكية[٩] .

ب - لقد جاء ذكر هذه الكاهنة في قوائم التواريخ السنوية من العهد البابلي وورد فيها أن الملك يقوم بتعين هذا النوع من الكاهنات وأن عبارة nu su sa eni تعطينا هذا المدلول . وأن الإله يبدى رغبة في هذا النوع من الكاهنات من خلال نبوءة[١٠] .

ج - فرضت القيود على العلاقات الجنسية فقد ذكر في أحدى النصوص البابلية أن الكاهن أي الـ Sangu [١١] عبارة mutallik bitili وأنه كان يمارس العلاقة الجنسية معها[١٢] . أما كاهنة الـ Entu أي الكاهنة العليا فأنها :-

١ - تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية العليا في البلاد .

٢ - اختيارها إلى منصب كاهنة عليا إلى الإله يتم من خلال فأل .

٣ - تمسك هذه الكاهنة بعذريتها بشدة وهذا يطابق ما جاء في ملحمة Atra-hasis والذي ينصح فيه الإله Enki كيفية تقليل كثرة السكان إذ جاء في العبارة sukni ugbakkati enti egisiati ikkibusina [١٣] .

وترجمتها على الصور الآتية (ضع بوظيفتها أي مكانها) أي الكاهنات Ugbabtu والـ Entu والـ egisiatu فأن الجنس محرم عليهم . ونلاحظ كذلك أيضاً أن الملك سرجون الأكدي وكوديا حاكم مدينة لجبش اطلقوا على أنفسهم لقب أولاد كاهنة عليا أي الـ Entu وهذا يعني أنهم أبناء زواج مقدس ويرتبط هذا الزواج بهذا الصنف من الكاهنات .

أما الكاهنة الـ Ugbabtu فأنها تتفق مع الصفة الأولى والثانية لكاهنة الـ Entu الكاهنة العليا مع العلم أنه يصعب تشخيص هذا الصنف من الكاهنات لأن كتابة أسمها يتم بالعلامات السومرية NIN DINGIR الذي يعني (سيدة إله) وهو

مشابه لأسم كاهنة الـ Entu ولكنه يختلف عن كاهنة الاينتو Entu إذ لا يوجد من الناحية القواعدية أي حالة للإضافة (Genetive) التي تكتب NIN DINGIR.RA أي (سيدة الإله) .

ذكرت في قوانين حمورابي المادة (١١٠) فضلاً عن ذكرها في ملحمة اترخاسيس التي جاء فيها (إذ لم تقم كاهنة الناديتوم naditum أو الاينتوم في الكاكوم (gagum) وفتحت بوابة حانة للخمر أو دخلت حانة للخمر (شرب) البيرة – فعليهم أن يحرقوا تلك المرأة))[١٤] . أما العقوبة المفروضة عليهن في هذه المادة فتبدو شديدة وتختلف في نوعيتها عن عقوبات بقية المواد الأخرى . أما الكاهنة الأخيرة التي يجب ذكرها في هذه الدراسة فهي كاهنة الناديتو (naditu)[١٥] وأنها تحمل الصفات الآتية .

١ – يكون أصل كاهنة الناديتو من بلاد بابل ومن العوائل الاجتماعية البارزة في البلاد .

٢ – خلافا إلى الكاهنات التي ذكرناها سابقاً فأن اختيار كاهنة الناديتو إلى هذا المنصب يتم ليس بأمر الإله وأنما تنذر من والديها إلى الإله وأن هذا القرار يتخذه والدها[١٦] .

٣ – أن تكون أقامت الكاهنة في منطقة حي المعابد الـ (gagum)[١٧] وترى الباحثة الأثرية R. Harris (ان الناديتو هي امرأة لا يسمح لها بإقامة علاقات جنسية أو أنجاب الأطفال)[١٨] . ومن تحليل هذه العبارة يمكن القول أنه من صفات هذه الكاهنة تحريم العلاقة الجنسية وهذا ما يتصف به كاهنة الناديتو للإله البابلي مردوخ التي كان يسمح لها بالزواج ولكن من دون إنجاب الأطفال ، ويعتقد البعض بصورة ظاهرية[١٩] بجانب إمكانية قيامها بواجبات تمتعها بالحرية الجنسية وبهذا تعود إلى صنف كاهنات كولماشيتو (Kulmasitu)[٢٠] ، وأن هذه الخصوصية محصورة بكاهنة الناديتو للإله مردوخ وترى الباحثة R. Harris في هذه الطقوس نوعا من الاحتفال التي انعكست صورتها عند المؤرخ هيرودوت[٢١] وكذلك عند

سترابو[٢٣] وعند دخولها الأول إلى المعبد فأن كاهنة الناديتو تلف ذراعها برداء الإله شمس وتتابع الباحثة ملاحظاتها بأن هذا التقليد قد عاش إلى قرون متأخرة وكذلك جاء في النص (In all of these passages the women or consiclered to be prostitutes – But we may have her a late tradition which harks back to the old Babylonian women).وعند مقارنة نص هيرودوت مع هذه للأصناف من الكاهنات (آخذين في الحسبان مضي نحو ألف عام قبل هيرودوت) . وأنها اصبحت في حكم الأندثار وأن أمتداد بقايا اثارها إلى العهد البابلي الحديث يعد حالة استثنائية لا غير .

أن الملك نبوتائيد يخبرنا في أحدى نصوصه الكتابية أنه قد عين أبنته Enum-eresti-Nana كاهنة من صنف الـ (Eu) في معبد إله القمر في مدينة أور وعلى الشكل الآتي أن آله القمر (Nanna (r طلب كاهنة من خلال نبوءة وقرر تعين أبنته في هذه الوظيفة من خلال فأل للكبد وبعدها يصف هذا التتويج ويدعي بعدها بأن وظيفة كاهنة الـ En قد دخل في طي النسيان منذ الأزمان القديمة[٢٤] . وأن تنشيط مثل هذه العادات والطقوس في زمن الملك البابلي نبوتائيد يعد عودة إلى تقاليد دينية مندثرة .

وهذا نوع من التذكير بكاهنة الناديتو التي سبق أن بينا بأن وظائف هذه الكاهنة غير واضحة تماماً[٢٥] . ويرينا النص الآتي بعض خصائص كاهنة الناديتو إذ كتب باللهجة البابلية .

"LUKUR.MES sa ina nimiqi ubalata riemu"

التي تعني (أن الناديتو تشفي بحكمة الجنين)[٢٦]

ويمكن القول بأن صنف كاهنات الـ En والـ Entu والـ ugbabtu لم يرد ذكرهن مع الإله مردوخ وان كاهنة الـ naditu للإله مردوخ كان لها موقع

خاص الذي بيناه سابقا ولا يمكن الرؤيا بوضوح لطقوس كاهنة الناديتو لأن دورها الكهني في العهد البابلي القديم غير واضح تماماً .

أما الزواج المقدس فيبدأ في نهاية احتفال (zagmukku) الذي يعد خاصا بزواج الإله مردوخ وقد ورد في النص ihis ana hadassutu [٢٧] أن مردوخ يستعد إلى الزفاف بالإلهة (Sarpanitu) .

وأن هذا الزواج يتم عبر جلب تمثالي الإلهين كما هو معروف وثابت لنا للإله نابو وتشميتو (Tasmetu) [٢٨] ، وقد ذكر الأستاذ Renger في (RLA)[٢٩] أنه يجب الفصل بين الزواج المقدس والزواج الديني وأن الزواج المقدس في حضارة العراق القديم هو اتحاد أو وحدة شخصين متمثلين بالإله كما جاء في حالة تموز واينانا ، أن الزواج الديني هو ارتباط رمزي بين الإلهين وان البحاثة دوكلاس فون بورن Doglas Von Buren ترى في الزواج المقدس فكرة الرمزية وأن بعض الباحثين يرى في أن الزواج المقدس يقام فوق الزقورة وذلك بمشاركة تمثالي الإله مردوخ والإلهة سربانيتو Sarpanitu [٣٠] بينما يرى آخرون ان وجود المرأة في المعبد العالي هو نهاية اكتمال الزواج المقدس[٣١] .

إن هذه الآراء المتباينة تدلل على أن البحوث الأثرية في هذا الجانب لم تصل إلى نتيجة حتمية شأن كيفية أجراء هذه الطقوس ولابد من ملاحظة أوجه الربط بين احتفال Zagmukku وشخصية الملك وأعطاء بعض الخصوصية للنظام الملكي بعد أن عودنا عام ٤٨٢ ق.م عام تحول حاسم Terminus Post quem فقد ألغيت فيه احتفالات الـ Zagmukku [٣٢] ومن دون الحضور الشخصي للملك لا يمكن أجراء هذا الاحتمال[٣٣] ، وذكر نبوتائيد في أحد حولياته (بما أن الملك في تيماء والأمراء وكبار ضباط الجيش كانوا في أكد) . (الملك لن يأتي إلى بابل) . (الآله) نابولن يأتي إلى بابل (الإله) بيل لن يخرج (من معبده) (لهذا) لن يتم إجراء احتفالات اكيتو[٣٤] .

أن ربط المتطلبات لهذا الاحتفال بما ذكره هيرودوت في (الكتاب الأول فقرة ١٨٣) إذ أورد بأن البخور تحرق بكمية تقدر بنحو (١٠٠٠) تالنت لهذا الاحتفال للإله مردوخ وأن هذه العبارة تقف حائلا بين ذلك وأنه من المؤكد ليست احتفالات الـ (Zagmukku) . أن الزواج الديني يبدأ عادة عند نهاية احتفال الـ Zagmukku وأكثر احتمالا في معبد الايسنكلا وليست في المعبد العالي فوق الزقورة لأن معبد الايسنكلا الخاص بالإله مردوخ يوجد فيه bitirsi كما جاء في وصف المدينة[٣٥] ، وتأكيدا لذلك فقد ذكره الملك آشور بانيبال عندما أعاده لوازم المعبد الخاص بالإله مردوخ إلى بابل[٣٦] . وليس هناك أي برهان أو دلالة بمشاركة أناس اعتيادين في أعاد الإله مردوخ بالإله سربانيتو Sarpanitu وبهذا نرفض أي علاقة بين احتفال الـ Zagmukku . وما جاء في نص هيرودوت وعدّ الأستاذ Renger في RLA أن الزواج المقدس مسألة غير منطقية ولصعوبة تصديق المصادر التي تخص الزواج المقدس فقد عددنا الأستاذ كرامر Kramer[٣٧] في الألف الثالث قبل الميلاد بأنها طقوس تعبر عن الخصب وأنها من اختراع المختصين بالديانة السومرية وأن Van Buren تعطي لهذا الموضوع مكانة خاصة وتعد شخصية الإله تموز يعبر من خلالها عن الشخصية الملكية لأعطاء الأحقية لملكية بذلك[٣٨] وأن هذه الفكرة تمثلت في عهد سلالة أور الثالثة خاصة أما الأستاذ Renger فقد ثبتها تاريخيا بنهاية السلالة الأولى من أيسن (أي دفق إيليشو سنة ١٧٩٤ ق.م من حيث كونها نقطة نهاية لهذا الاحتفال[٣٩] وبعد ما قدمنا من دلائل وشواهد نؤكد أن الحديث عن وجود امرأة فوق برج بابل هي أسطورة نسجت من خيال هذا المؤرخ وأن هذه الفكرة جاءت من تأثير زيارة هيرودوت إلى بلاد مصر وتوقفه في مدينة طيبة القديمة وأن المعلومات التي استقاها عن الزواج المقدس في معبد الإله آمون وأن كثيراً من الباحثين المعاصرين يؤكدون وبطرائق علمية عدم زيارة هذا المؤرخ لبلاد بابل وأنما كتب عنها عن طريق رواة الأخبار ، فقد اختلطت لديه هذه الفكرة ونسب وجودها أيضاً إلى المعبد العالي فوق برج بابل مع أنه ذكر أيضاً في كتابه عدم تصديقه لهذه الفكرة شخصياً (الفقرة ١٨٢ الكتاب الأول) .

المصادر :-

١ - بسترس : تاريخ هيرودوتس الشـــهير المجلـد الأول ، مطبعـة بـيروت ١٨٨٦-١٨٨٧ صحيفة ٩٠٤ فقرة (١٨٢) .

2 - O.E Ravn Herodotus description of Babylon Copenhagen 1942 (HDS) 58 .

3 - H. Frankfort the Kingship and the Gods & Chicago – London (1948) 331 .

4 - H.W.F. Saggs the greatness that was Babylon London 1962 , P. 388 .

5 - W. Baumgarther in Achiv Crien to 'lny' = (Aro) Herodots Babylonisch-Assyrishce Nachrichten 18 (1950) , S. 69-106 .

6 - B. Hrouda. Vorderasien I, Hdarch (1971) , S. 143 .

7 - W. Romer, The Religion of Ancient Mesopotamio in Bleeker – Widengreen , Historio Religionun vol 1 Religions of the Past P. 146 .

8 - J. Renger, Unter Suchungen Zum Priestertum in altbaby lonischer zeit in Zeitschrift fur Assyriologie (= ZA) 58 (1967) 110-188 .

٩ - نفس المصدر أعلاه .

10 - Von soden AHW Ed. 1 (eriv'tum) S. 241 .

11 - Cuneiforn Texts from Babylonian Tablets in British Musew , ZA, 3 a : b .

١٢ - نفس المصدر أعلاه .

١٣ - نفس المصدر أعلاه .

١٤ - فوزي رشيد . الشرائع العراقية القديمة ١٩٧٩ . دار الرشيد صحيفة ١٣٧.

15 - J. Renger ZA 58 (1967) , 150-153 .

١٦ - نظر فوزي رشيد . الشرائع العراقية القديمة صحيفة ١٥١ مادة (١٨١).

17 - Landsberger, Bemerkungon zur – Babylonischen Brifliteratur, ZDMG 69 (1915) , S. 506-507 .

18 - Harris . The noditu – woman in studies presented to Leoppenh Chicago 1964 , S. 108 .

19 - J. Renger. ZA 58 (1967) , S. 160-161 .

٢٠ - نفس المصدر أعلاه .

٢١ - بسترس تاريخ هيرودث الشهير المجلد الأول مطبعة بيروت ١٨٨٦-١٨٨٧ صحيفة ١٠١ فقرة (١٩٩) .

٢٢ - ورد كذلك عند سترابو المجلد (١٦) فقرة ٥٠١ .

23 - R. Harris, naditu – women , P. 115 .

24 - Yale Oriental Series 1 , P. 45 .

25 - J. Renger 2 A 58 (1967) , S. 176 .

26 - Ebeling Keilschrifttexte and Assur religionsen . Inhalts (= KAR) Leipbig 1915 321 2.7 .

27 - H. Zimmern, zum Babylonischen Meujcehrsfest I, BsGW58 (1906) P. 153 .

28 - Renger in RLA Bd IV (Heilige Hoch zeit) 255 .

٢٩ - نفس المصدر أعلاه صحيفة ٢٥٥ فقرة ١٣ .

30 - W. Romer the Religion of Ancient the Mesopetamie vol. 1 S. 146 .

31 - H.W.G. Saggs, Greatness that was Babylon London 1962 P. 388 .

32 - Bonl in Bior 19 (1962) , P. 113 .

33 - Saggs = Greatness , P. 387 .

34 - A.K. Grayson, Assyrion and Babylonian Chronicler Br. 7 col. 2-5-6 .

35 - E. Unger Babylon . 247 , 2 . 31 .

٣٦ - نص نذري للأمة آشور ومردوخ .

VABV11 S.294 col 1112 . 16

37 - S.N. Kramer the sacred Marriage rite Bloomington 1969 , P. 49 .

38 - Van Buren the sacred Marriage in Or 13-1-11 .

39 - J. Renger in R L A Bd IV Heilige Hochseit .